مجـــلة عصـــور المجلد 19/ العدد الثاني ديسمبر 2020
EISSN 6278-2600 / ISSN 1112- 4237 الإيداع القانوني 2002- 464 Depot légal

# زلازل بلاد الشام وآثارها الاقتصادية والنفسية والاِجتماعية منذ بداية القرن الأول الهجري حتى عام 130هـ/ 622- 748م

# Earthquakes in the Levant and its economic, psychological and social effects from the beginning of the first century AH until 130 Ah / 622 - 748 AD

الباحث أسعد بن حمود بن خلفان العامري *
جامعة السلطان قابوس/ سلطنة عمان
asaad.aamri@gmail.com

تاريخ الإرسال: 202/09/28 تاريخ المراجعة: 10 /2020/10 تاريخ القبول: 2020/10/30

**الملخص:**

يتناول هذا البحث موضوع الزلازل التي ضربت بلاد الشام منذ بداية القرن الهجري الأول حتى عام 130هـ/ 622- 748م، ويستفتِح الموضوع بالحديثُ عن الآثار العامة للزلازل على حياة الإنسان، ثم يمهد بإعطاء لمحة مختصرة عن الزلازل التي ضربت بلاد الشام منذ القرن الأول قبل الهجرة، مع تبيان نتائجها وآثارها على جوانب حيوية عدّة.

سيهتم البحث بالرصد الكرونولوجي لأخبار الزلازل المدمرة التي ضربت بلاد الشام وثغورها خلال القرن الهجري الأول حتى عام 130هـ، وما خلّفته من خسائر بشريّة ومادية، تليها الزلازل البسيطة، مع بيان آثارها الاقتصادية، والنفسيّة والاجتماعية.

* الباحث أسعد بن حمود بن خلفان العامري، جامعة السلطان قابوس/ سلطنة عمان

وتضمنت الخاتمة مجموعة من النتائج؛ التي كشفت عن مدى عمق وفداحة الآثار المترتبة على وقوع تلك الزلازل؛ لاسيّما المدمرة منها، والتي شملت الكثير من الجوانب الحياتية.

**الكلمات المفتاحية:** بلاد الشام - الزلازل - الدولة الأموية - المجتمع -الآثار المدمرة.

**Abstract:**

The research studies the earthquakes that struck the Levant from the beginning of the first century AH until 130 Ah (622-748 AD). The research opens up with highlighting the common effects of earthquakes on people's life. Then, it provides a brief for the major earthquakes that hit the Levant since the first century before migration along with outlining their impacts and outcomes on various levels.

The research then reviews, in a chronological way, those devastating earthquakes that hit the Levant and its border areas during the first 130 years after migration, and the resulting human and material losses in addition to examining the minor earthquakes and their economic, psychological and social impacts.

The conclusion states the main findings which reveal the depth and seriousness of the effects of the earthquakes in question especially the destructive ones which had influenced almost every life aspect.

**Key words:** The Levant - earthquakes - the Umayyad state - society - the devastating effects.

**مقدمة**

أسهمت الزلازل في التأثير على تاريخ الإنسان ومجريات حياته عبر العصور، فعِظم وطأتها وجسامة خسائرها البشرية والمادية خلَّف آثارًا كثيرة على مختلف الصُعُد، إن تناول الدراسات لمثل هذا الموضوع سيكشف دون شك عن الآثار المتعددة للزلازل على الأفراد والأسر والمجتمعات. وتكمن إشكالية هذا البحث في أسلوب تأريخ المؤرخين السريان والعرب المسلمين للزلازل المدمرة والبسيطة التي ضربت بلاد الشام، ورصدهم

لآثارها الاقتصادية والاجتماعية في ظل الدولة الإسلامية منذ بداية القرن الهجري الأول حتى سنة 130هـ.

وعليه، سيستعرض البحث حوادث الزلازل التي ضربت بلاد الشام خلال الفترة المذكورة أعلاه، وقبل الشروع في ذلك سيتم التطرق بإيجاز للزلازل الحاصلة فيها منذ القرن الأول قبل الهجرة؛ لأن بعض آثارها ستنعكس على الفترة الإسلامية لهذا الإقليم، وستتيح من ناحية أخرى فرصة للمقارنة بينهما، إضافة لتَتَبُع الأماكن والمدن التي عانت أكثر من غيرها. ونظرا لطبيعة الموضوع في تناوله لتاريخية المكان سيتم التعريف بأسماء العديد من مدن وبلدان بلاد الشام وثغورها من خلال خريطتين جغرافيتين ألحقت بالدراسة؛ لتقريب الحدث ببعده المكاني. وسيُختم البحث بذكر أهم النتائج، التي رصدت بين طيّاتها الآثار الناجمة عن الزلازل في شتى المجالات؛ ومنها الاقتصادية والنفسية والاجتماعية.

ولمعالجة القضايا الواردة أعلاه كان لزامًا التعويل على المنهج الوصفي، الذي يُعتمد في مثل هذه الأطروحات التي تؤرخ للظواهر والكوارث الطبيعية؛ إذ يتيح جمع البيانات المطلوبة عن الزلازل الحاصلة؛ زمنها ومكان حدوثها، وأهم نتائجها. كما تمت الاستعانة بالمنهج التحليلي لاستقراء النصوص؛ الأمر الذي ساعد في التوصل إلى مجموعة من النتائج التي حققت أهداف البحث.

**1- زلازل بلاد الشام في القرن الأول قبل الهجرة**

من خلال المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة رُصِدت الكثير من الزلازل خلال القرن الأول قبل الهجرة، حيث تعرّضت أنطاكية واللاذقية وغيرهما من المدن السورية إلى زلازل مدمرة خلال الأعوام 524م[1] و527م[2] و 529م[3] و530م[4] نتج عنها ضحايا

[1] - مؤلف مجهول (توفي بحدود القرن 2هـ/ 8م). تاريخ ملوك القسطنطينية. تحقيق وتعليق: طارق منصور. تقديم: زبيدة عطا. مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2008. ص 124، 125؛ ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود (ت: 890هـ/ 1485م). تاريخ حلب وهو فصل من كتابه "نزهة النواظر". اختيار ابن الشحنة المجهول. علق عليه: أبو أيمن البتروني (ت: 1046هـ). تحقيق: كيكو أوتا. مكتبة الجامعة الأردنية، عمّان: 1990م. ص 200.

[2] - مار ميخائيل السرياني (ت: 595هـ/1199م). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريك أنطاكية. عرَّبه عن السريانية: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم. دار ماردين، حلب: 1996م. ج 2. ص 63؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 200.

بشرية كبيرة، ودمار عظيم، شمل مختلف المباني والممتلكات؛ من بيوت وكنائس ومزارع، وزاد الطين بَلّةً ترافق بعضها مع انفجار للحمم البركانية ودخانها الخانق؛ فقضي على الكثير من الناس هدمًا وخسفًا وحرقًا وخنقًا. ونتج عن بعض تلك الزلازل انسداد مجاري الأنهار؛ مما أدى لإغراق المدن والقرى القريبة منها، يضاف إلى ذلك تصادف بعضها مع شتاء قارص، عانى منه المشرّدون في الجبال معاناة شديدة. كما تعرّض ساحل بلاد الشام خلال القرن الأول قبل الهجرة إلى زلازل شديدة التدمير، ترافقت مع أمواج مدٍّ بحرية، أجهزت على ما تبقى بقراه ومدنه، وتسببت بخسائر بشرية واقتصادية مضاعفة؛ خاصة بقطاع الصيد، وذلك في الأعوام 551م[5] و555م[6] و559م[7]. وفي الأعوام 567م[8] و570م[9] و585م[10] و 587م[11] و 588م[12] و599م[13] ضربت الزلازل بلدانا كثيرة، خاصة بلاد الشام وأنطاكية وأرمينيا وما بين شميشاط والرُّها راح ضحيتها شعوب كثيرة، وتهدمت فيها معظم أنطاكية وغيرها من المدن، وتسببت بتشرّد أحد جيوش الدولة الرومانية.

ورغم الجهود الكبيرة والمتنوعة المبذولة من دولة الروم؛ من إرسال للمال والرجال والعمال والصُنَّاع لبناء وترميم وتجديد المدن، واستخراج القتلى من بين الركام، وانتشال

---

[3] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 63، 64.

[4] - مجهول. تاريخ ملوك القسطنطينية. ص 127؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 75، 76؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 200، 201.

[5] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 132.

[6] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 132؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 201.

[7] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 132، 133.

[8] - المصدر نفسه. ص 170.

[9] - المصدر نفسه. ص 180.

[10] - المصدر نفسه. ص 195.

[11] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 250؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 202.

[12] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 250.

[13] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 262؛ العجلوني، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني (ت: 1162هـ/ 1749م). تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة. اعتناء: سفيان بن عايش بن محمد. دار ابن الجوزي، الأردن: 2004م. ص 65.

الغرق من البحر، وتقديم معونات مالية لإدارات المدن، ومحاولة تجديد نفسيَّة السكان بإعادة الاحتفال ببعض الأعياد التي قاطعتها الزلازل، مع جهود أخرى من قبل رجال الدين؛ بإقامة الصلوات والأدعية، وحث الناس على التوبة، وكذلك جهود أفراد المجتمع بعمليات إخراج القتلى والتحري عن أشخاصهم - إلا أن أغلب تلك الجهود كانت تذهب أدراج الرياح؛ بتوالي الزلازل المدمرة خلال فترات متقاربة، فما كان يسلم من السابق يأتي عليه اللاحق، بل ويأخذ معه ما تم تجديده وترميمه، حتى أن بعض السكّان - خصوصًا بأنطاكية - فضلوا الهجرة بعد إدراكهم لعبثية التجديد والترميم بمدينة تتسم بكثرة وشدة زلازلها[14].

**2- زلازل بلاد الشام منذ بداية القرن الأول الهجري حتى عام 130هـ**

تعرضت بلاد الشام مع المنطقة التي عرفت بالثغور الشاميّة للكثير من الزلازل، وكانت الشِدَّة والتدمير هي السمة الغالبة عليها في عموم الفترة الإسلامية، ففي عام 6هـ/ 627م ضربت بلاد الشام "رجفة عظيمة" ورغم تلك التسمية إلا أن المصادر التي اعتمدت عليها الدراسة لم تذكر نتائجها![15]. وأثناء الفتوحات الإسلامية ضرب زلزالٌ عظيم كُلًا من سوريا وفلسطين وأرمينيا بسنة 13هـ/634م، واستمرت هزَّاته الارتداديَّة لمدة ثلاثين يومًا، فخلّف دمارًا كبيرًا بِعدَّة مناطق، سقطت فيه مبانٍ كثيرة وكنائس عِدَّة؛ كان من أبرزها كنيستا القيامة والجلجلة بفلسطين. ومما ضاعف من معاناة السكان مع هذا الزلزال الشديد ترافقه مع تفشي وباء الطاعون في سوريا وفلسطين، وغيرهما من المناطق[16]. ويُرجح أن يكون الزلزال السابق هو نفسه الذي أشار إليه الشعيفي وابن الشحنة بأنه ضرب مدينة حلب قبل الفتح الإسلامي، وتسبب بسقوط بعض سورها

[14] - مجهول. تاريخ ملوك القسطنطينية. ص 124، 125، 127؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 75، 76، 132، 133، 250؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 200؛ 201.

[15] - المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (من القرن 4هـ/ 10م). المنتخب من تاريخ المنبجي. انتخبه وحققه: عمر عبد السلام تدمري. دار المنصور، لبنان: 1986م. ص 43.

[16] - المنبجي. المنتخب. ص 29، 43، 45؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج2. ص 305، 306، 313.

وقلعتها، ورغم ترميمهما إلا أن أبا عبيدة بن الجراح أعاد بناءهما بعد الفتح الإسلامي[17] لعدم إحكام الترميم السابق[18].

وفي سنة 59/ 679م [19] باغت زلزال عنيف مناطق مختلفة في الجزء الشمالي من بلاد الشام، تأثرت منه بشكل كبير مدينة سَرُوج، ويصف المؤرخ الزوقنيني بعضا من نتائجه النفسية والاجتماعية قائلًا: "في اليوم الثالث عشر من شهر نيسان، وصادف نهار الأحد حدث خوف عظيم؛ أجهضت فيه الحوامل في مدينة سَروج". وكانت قرية بُطْنَان من أكثر قرى سَرُوج دمارًا؛ حيث خُسف بجزء كبير منها، وتهدمت عامة بيوتها، وسقط سورها. كما شمل الدمار عدة مواضع بالرُّها، كان من بينها العديد من الكنائس، ككنيستها الكبرى التي مات فيها الكثير. ومما زاد من حجم الضحايا تصادف هذا الزلزال

---

17 - كان الفتح الإسلامي لحلب عام 16هـ/ 637م. البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ/ 892م). فتوح البلدان. إشراف: لجنة تحقيق التراث. دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1988م. ص 141؛ السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/ 1505م). تاريخ الخلفاء. اعتنى به ونقحه وعلق عليه: محمود بن رياض الحلبي. دار المعرفة، بيروت: 2000م. ص 119؛ الموسوعة العربية العالمية. ط 2. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: 1999م. ج9. ص 499.

18 - الشعيفي، زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي (ت: ؟هـ/ ؟ م). كتاب عن تواريخ حلب وما بها من العادات اللطيفة والعجائب الغريبة (مخطوط). مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية: عمّان. رقم التسلسل: 1683، رقم الشريط: 295. ص 17, 18؛ ابن الشحنة. تاريخ حلب. ص 39.

19 - أرَّخ السريان لهذا الزلزال -وغيره من الأحداث - كلٌ بأسلوبه؛ فالزوقنيني (ت:158-159هـ/775م) جعله بالسنتين اليونانية والميلادية:990ي/679م، وكذلك لدى التلمحري (ت:230هـ/ 845م) لكن جعله بين سنتين ميلاديتين: 990ي/678-679م. بينما أرَّخ له المنبجي (من القرن: 4هـ/10م) بالسنة السابعة عشر لمعاوية، واقتصر مار ميخائيل (ت:595هـ/1199م) في التأريخ له بالسنة اليونانية فقط: 990ي، دون أن يذكر مقابلها الميلادي، علمًا أن الفارق بين السنة اليونانية والميلادية لدى الزوقنيني هو (311) سنة، وهو ما سنعتمده عند استقائنا من المصادر السريانية. بينما جعله التلمحري (أي الفارق بين السنتين اليونانية والميلادية) يتراوح بين (311-312) سنة. كما أنه أثناء مقابلة السنة الميلادية مع الهجرية تظهر إشكالية وجود سنتين هجريتين تتخللانها، والعكس صحيح، وقد يحسم الأمر بورود خبر بالمصادر الإسلامية يرجح كفة إحداها. الزوقنيني (ت:158-159هـ/775م). تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحريّ. ترجمه من السريانية: الشماس بطرس قاشا. قدم له وعلّق عليه: الأب سهيل بطرس قاشا. منشورات المكتبة البولسية، بيروت: 2006م. ص 58؛ التلمحري، ديونسيوس (230هـ/ 845م). تاريخ الأزمان. ترجمة وتقديم: شادية توفيق حافظ. مراجعة: السباعي محمد السباعي. المركز القومي للترجمة، القاهرة: 2008م. ص 28؛ المنبجي. المنتخب. ص 73؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص352.

المدمر مع أحد أكبر وأعظم أعياد النصارى؛ وهو عيد أحد القيامة، حيث كان الكثير منهم يؤدون شعائرهم تحت أسقف الكنائس، فلقوا مصرعهم. ويضيف مار ميخائيل أن الزلازل كثرت في هذه السنة، واستمرت لمدة سبعِ سنوات[20].

وفي آخر عام 87هـ/706م أرّخ مار ميخائيل لوقوع زلزال عنيف، أدى إلى اِنهيار بلدة سارين[21] وغيرها من الأماكن، والمشكل في الأمر هنا هو ذكر المدن بأسمائها السريانية، وغياب مرادفها العربي؛ حيث نلاحظ أن هذه الإشكالية حاضرة لدى الكثير من المؤرخين النصارى؛ مما يصعب معه تحديد الأماكن المنكوبة، رغم وقوعها في أحيان كثيرة بنفس الإقليم الذي عاش فيه المؤرخ، والذي يقع ضمن حيّز الدراسة[22].

وأشارت بعض المصادر السريانية إلى وقوع زلزال عنيف جدًا في عام 94هـ/ 28 شباط (فبراير) 713م، دمَّر العديد من المناطق، وبخاصة أنطاكية وحلب وقنّسرين، وتسبب بسقوط الكثير من الأبنية والكنائس، وخلّف دمارًا كبيرًا بها[23] وهو ما تؤكده المصادر الإسلامية؛ كتاريخ اليعقوبي والطبري وابن الأثير، وأشارت إلى أن الزلازل في عهد الوليد بن عبد الملك (86- 96هـ/ 705- 715م) كانت كثيرة، ففي العشرين من آذار(مارس) عام 94هـ/ 713م حدث زلزال في بلاد الشام، تلته زلازل أخرى استمرت لمدة أربعين يومًا، سقطت خلاله الأبنية العالية، ولحق بالبلاد دمار كبير، كما أعقب تلك الزلازل كوارث أخرى بنفس الفترة[24] الأمر الذي ضاعف معاناة السكان[25].

---

[20] - الزوقنيني. تاريخ. ص 58؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 28؛ المنبجي. المنتخب. ص 73. مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص352.

[21] - سارين: لم أقع لها على ذكر بالمصادر التي اعتمدت عليها الدراسة.

[22] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 373.

[23] - جعله المنبجي سهوًا بحوادث 93هـ، على عكس مار ميخائيل الذي جعله بعام 94هـ المنبجي. المنتخب. ص 82؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 374.

[24] - من تلك الكوارث: تفشّي وباء الطاعون، وغزو الجراد الذي لم يُرَ مثله، وهبوب عاصفة شديدة اقتلعت الأشجار، وتسببت بتهدم المباني، بل ولاحقتهم الكوارث في السنة التالية؛ بانجماد يبست منه الأشجار. مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 374.

[25] - اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: 284هـ/ 897م). تاريخ اليعقوبي. دار صادر، بيروت: 2010م. ج 2. ص 291؛ الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/ 923م). تاريخ الأمم والملوك. راجعه وقدم له وأعد

وفي سنة 100هـ/ 718م[26] حدث زلزال عنيف ومخيف، شمل أماكن كثيرة في بلاد الشام والجزيرة؛ أدى إلى دمار المباني العظيمة والشاهقة، وتهدم الكنائس والمعابد، وسقوطها على من فيها، ومن بينها كنيسة الرُّها القديمة؛ فمات الكثير من السكان سحقًا تحت الركام، بينما أصابت المباني الناجية شقوق وتصدعات تدل على شدة وهول ما تعرضت له. كما تسبب هذا الزلزال في خراب الكثير من البساتين والحقول، وتلف مختلف أشجار الفواكه بها، فيبست وفسدت ثمارها[27].

وانفردت المصادر السريانية بالتأريخ لزلزال قوي جدًا حدث في الجزيرة الفراتية، إلا أنها اختلفت في التأريخ له رغم اتفاقها على حدوثه بخلافة الوليد بن يزيد (125-126هـ/ 743-744م) فالزوقنيني أرخ له بسنة 1053ي/ 742م، والتي توافق السنوات ما بين 125-126هـ وأرخ له التلمحري بالسنة اليونانية 1053، ولكنه جعلها بين السنتين الميلاديتين 741-742، والتي يقابلها هجريًا الفترة ما بين 123-125. أما المنبجي فقد ذكر صراحةً وقوعه في أولى سنوات خلافة الوليد بن يزيد دون أن يحدد السنة، وأقرّ مار

فهارسه: نواف الجراح. د.ت. دار ومكتبة الهلال، بيروت. مج 4. ص 1303؛ ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630هـ/ 1233م). الكامل في التاريخ. دار صادر، بيروت: 1995م. مج: 4. ص 582؛ ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت: 774هـ/ 1372م) البداية والنهاية. قدّم له: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2001م. ج 9. ص 97؛ ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: 874هـ/ 1470م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر: 1973م. ج 1. ص 227؛ السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/ 1505م). كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة (مخطوط). مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمّان. شريط: 276. ص 41؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص75.

[26] - فيما يخص تاريخ هذا الزلزال لم يحدد السيوطي والعجلوني سنته، ولكن ربطاه بخلافة عمر بن عبد العزيز (99-101هـ/ 717-720م). السيوطي. كشف الصلصلة. ص 119، 122؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 37، 75، 76.

[27] - الزوقنيني. تاريخ. ص 83؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 46؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 383؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة. ج 1. ص 242؛ السيوطي. كشف الصلصلة. ص 119، 122؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 37، 75، 76.

ميخائيلَ بحدوثه في خلافة الوليد بن يزيد، ولكن المُشكِل ربطه إياه بعام 1056ي؛ والذي يقابله 745م/ 127-128هـ! وهو ما لا يتفق مع فترة خلافة الوليد! [28].

وعليه يُرجح وقوع الزلزال السابق بسنة 125هـ/742م، وهي السنة التي تقاطعت عليها أغلب المصادر، إضافة لتصريح المنبجي بحدوثه في أول سنوات حكم الوليد بن يزيد. ويروي المؤرخ التلمحري تفاصيل ما حدث خلاله قائلًا: في "عام 1053يونانية (741-742م) حدثت في يوم الأحد هزة أرضية عنيفة وشديدة، طوال ليلة الأحد كنّا نسمع الصوت الصادر عنها كما لو كان صوت خوار الثور، عندما جاء ميعاد القدَّاس هرع الأهالي ودخلوا كنيسة مَرَق التي تهدمت من شدة وقوة الزلزال الذي حدث على حين غفلة؛ ولقي كل الأهالي الذين تجمعوا فيها مصرعهم، ولم يخرج أحد منها حيًّا فيما عدا القس، الذي كان في نفس الوقت يقدم القربان. إن الهضبة التي كانت تعلوها كنيسة مَرَق ظلت تسمع زمجرة وجلبة استمرت لمدة ثلاثين يومًا" وهو ما يتطابق مع ما أورده المنبجي من أن الزلازل قد كثرت بهذه السنة. ويضيف مار ميخائيل أن بعض القرى في الصحراء العربية قد طمرت، وتزعزعت على أثره الجبال؛ حتى اقترب بعضها من بعض[29].

ويعد زلزال عام 130هـ/748م أحد أشد الزلازل التي ضربت بلاد الشام، فقد استمر قرابة أربعين يومًا، وتسبب بدمار كبير في القدس، وموت الكثير من أهلها، واندثار بعض أُسَرِها المعروفة. وفي دمشق طال الدمار مرافقها المختلفة، وتساقطت أسواقها ومبانيها العظيمة؛ مهلكةً الكثير من أهلها تحت الركام. ويضيف الزوقنيني والتلمحري تفاصيل أخرى عن هذا الزلزال[30] منها ما يتعلق ببدايته ووقت اشتداده، حيث بدأ بهزة

---

[28] - الزوقنيني. تاريخ. ص 88؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 51، 52؛ المنبجي. تاريخ. ص 94. مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص401.

[29] - الزوقنيني. تاريخ. ص 88؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 51، 52؛ المنبجي. تاريخ. ص 94؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص401.

[30] - فيما يخص المنطقة التي ضربها الزلزال فإن المصادر السريانية ذكرتها باسم: "أرض الغرب" أي غرب الفرات؛ والتي يرجح بأنها سوريا وفلسطين؛ إذ درج المؤرخون السريان على إطلاق هذا المصطلح على المدن الواقعة بتلك الناحية. الزوقنيني. تاريخ. ص57، 94، 95، 96، 110، 121؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 67، 68، 87.

وقعت في الليل، ترافقًا مع أصوات كصوت خوار الثور، ومع اجتماع الناس صباحًا بكنيسة مدينة مبوغ (أي مدينة منبج) التي تدعى "والدة الله"[31] - وكانت خارج المدينة - إذ بهزّة عظيمة أسقطت عليهم المبنى؛ فهلكوا عن آخرهم[32].

ويضيف المنبجي مزيدًا من المعلومات عن زلزال 130هـ، من حيث حدوثه في كانون الآخِر(يناير) ويتفق مع من سبقه بأن هزّاته امتدت لأيام عديدة، وشملت مناطق واسعة من الشام وصولًا إلى القسطنطينية؛ انخسفت فيه أماكن عِدَّة من ساحل فلسطين، فهلك الكثير من أهلها؛ لا سيّما في طبرية، حتى قيل أن مجمل من هلك ناهز المائة ألف ونيّف[33].

أما أكثر التفاصيل التي أرخت لهذا الزلزال المدمر ونتائجه فهو ما ورد عند المؤرخ مار ميخائيل، فرغم تأخره عن المؤرخِين السابقين الزوقنيني والتلمحري والمنبجي إلا أن ما رواه يجعله في الصدارة عند الحديث عن هذا الزلزال، فبعد آيات سماوية[34] واشتداد للمجاعة وتفشّي الطاعون حدث هذا الزلزال في بلاد الشام، وقد شَملَ مناطق عديدة لعدة أيام، تحركت فيه دمشق كتحرك أوراق الشجر، ودُمِّر فيه دمارًا كليًا حصنٌ كان الحجاج بن يوسف قد بناه منفقًا عليه الكثير من الأموال؛ فقتل تحته أكثر من ثمانين شخصًا، كما هلك الكثير بدمشق، والألاف بالغُوطَة ودارِيّا ودمّرت كُلِّيًا بُصْرَى

---

[31] - كنيسة والدة الله: وردت لدى التلمحري باسم " أم الرب". التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 68.

[32] - الزوقنيني. تاريخ. ص 95؛ التلمحري. تاريخ الأزمان. ص 58، 67، 68؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة. ج 1. ص 311؛ السيوطي. كشف الصلصلة. ص 122؛ العجلوني. تحريك الصلصلة. ص 75.

[33] - المنبجي. المنتخب. ص 105، 106.

[34] - يصف مار ميخائيل ذلك قائلاً: "ظهر في السماء ومن الجهة الشمالية ما يشبه نصف القمر، ثم انتقل ببطء إلى الجهة الجنوبية، ثم عاد إلى الشمال وسقط على الأرض. وفي منصف آذار تلك السنة امتلأ الجو بما يشبه غبارًا ناعمًا كثيفًا غطّى كل المناطق، وفي الساعة التاسعة صار ظلامًا دامس حجب أشعة الشمس. وفي نهاية كانون الثاني (يناير) شوهدت شهب منتشرة في الجو، ومن كل الجهات، تتقاطع مع بعضها البعض بشدة، وكأنها في قتال. كما شوهد ليلًا في كبد السماء عمود نار هائل خلال هيجان الشهب، وشوهد بالقرب من "درب التبانة" نجم ضخم شبيه بالقمر استمر أربعة أيام، واعتقد الجميع بأن هذه العلامات تشير إلى الحروب وسفك الدماء وتأديب البشر". مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 401.

وأيوا[35] ودرعا وبَعْلَبَك ومَرْجُعُيُون. وفي طبرية هوت المباني باستثناء دار واحدة، ودُمّر ثلاثون كنيسًا لليهود، والحمامات التي بناها سليمان بن داود - على نبينا وعليهما السلام - وعين الماء التي كانت تستخدم في إسهال البطن، والأعمال الفنّيّة، والجِرار الفخارية التي حُدِّدَت عليها الكمية المناسبة للعلاج، وأماكن الاستراحة بها. ومن العجائب التي حدثت في هذا الزلزال أن قرية بالقرب من جبل تابور زُحزِحت من مكانها مسافة أربعة أميال دون أن يلحقها أذًى. وفي أريحا ابتعد ينبوع مسافة ستة أميال، وفي مَنبِج هلك الكثير، وانهارت كنائس كبرى خلال إقامة القداس، وسقط عدد من أسوارها. وفي منطقة البَلْقَاء؛ أي موآب اقتلعت المياه أحد الحصون، رامية إياه على بعد ثلاثة أميال، وكان يسكنه مسلمون من اليمن. أما الحال في المناطق الساحلية فقد كان أسوأ؛ حيث " ثار في البحر نوء غريب، حتى أن الأمواج ظهرت وكأنها ترتفع نحو السماء، وهي تبدو كماء يغلي داخل القدر، وتصدر عنها أصوات صاخبة وكئيبة، واندفعت المياه إلى أكثر من حدودها الاعتيادية؛ فدمرت العديد من القرى والمدن الواقعة على السواحل ". إن اقتران ذلك الزلزال العنيف بأمواج المد البحري قد ضاعف من معاناة السكان في المناطق الساحلية، ورفع من كلفة الخسائر البشرية والمادية بالخراب والدمار العظيمين الذي تسبب بهما[36].

وفيما يتعلق بالزلزال السابق (130هـ) تُخبِر بعض المصادر الإسلامية بوقوع زلزال آخر في دمشق بالسنة التالية؛ فقد ورد لدى السيوطي والعجلوني أن زلزالًا قويًا ضرب دمشق في عام 131هـ/748-749م، سُمِّيَ بـ "الرجفة العظمى". ورغم إطلاق هذه التسمية العظيمة عليه إلا أنه لم ترد لديهما أيّة تفاصيل عنه سوى انشقاق أحد سقوف المسجد الأموي حتى رُئيت السماء من خلاله، لتجيء رجفة أخرى فتعيده إلى ما كان عليه. وبالتالي نرجح أن يكون هذا الزلزال هو نفسه الحاصل في السنة الماضية (130هـ) فلقب "الرجفة

[35] - أيوا: لم تقع الدراسة بحسب المصادر التي اعتمدت عليها على ذكر لها، ويبدو أنه اسم لقرية أو مدينة تقع في بلاد الشام، إلا أن مار ميخائيل كغيره من المؤرخين السريان لا يذكر القرى والمدن إلا بأسمائها السريانية في أغلب الأحيان.

[36] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 401-403.

العظمى" يليق به عن جدارة[37]. ومما يَمِيلُ بالكِفة أكثر إلى ما تم ترجيحه هو أن ابن تغري بردي بعد أن تحدَّث عن زلزال 130هـ العنيف ختمه بقوله: "وقيل: كان ذلك في سنة إحدى وثلاثين ومائة"[38].

كما ضرب بلاد الشام خلال الفترة السابقة عدد من الزلازل البسيطة؛ ويلاحظ على بعضها غياب بعض التفاصيل، ففي عام 15هـ/ 636م تعرضت مدينة حمص لرجفتين أثناء محاصرة الجيش الإسلامي لها؛ فتصدعت مبانيها، ودبَّ الخوف في قلوب المدافعين عنها؛ حتى أسلموا أمرهم وفتحوا مدينتهم للمسلمين[39]. وفي سنة 98هـ/ 716-717م كَثُرت الزلازل، ودامت أربعين يومًا[40] وفي رواية: ستة أشهر[41]. كما ذكر مار ميخائيل وقوع زلزال في سنة 111هـ/تشرين الثاني ( نوفمبر) 729م دون أن يحدد المكان، أو حتى نتائجه، غير أنه ترافق مع تفشِّي الطاعون[42].

### 3- آثار الـــزلازل

تُعد الزلازل وما خلّفته من آثار واحدة من أهم وأخطر الأحداث والعقبات التي اعترضت سكان بلاد الشام - وغيرها من المناطق - فقدرتها الكبيرة على إحداث تغييرات ملموسة بمكونات الوسط البيئي الذي يحيا فيه الإنسان تجعل آثارها تمتد لتشمل مختلف نواحي الحياة، غير أن البحث معني فقط بإبراز آثارها الاقتصادية، والنفسيّة والاجتماعية، كون هذه الجوانب من أكثر النواحي تأثيرًا على حياة الإنسان؛ فالاقتصاد هو العجلة المحركة للحياة، والاستقرار النفسي والاجتماعي محفِّز وباعث لها.

**أولا: الخسائر الاقتصادية**

37 - السيوطي. كشف الصلصلة. ص 122؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 76.

38 - ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة. ج 1. ص 311.

39 - الطبري. تاريخ. مج 2. ص 656؛ ابن الأثير. الكامل. مج 2. ص 491، 492.

40 - السيوطي. كشف الصلصلة. ص 122؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 75، 76.

41 - ابن الأثير. الكامل. مج: 5. ص 36؛ ابن تغري بردي. النجوم الزاهرة. ج 1. ص 236.

42 - مار ميخائيل. تاريخ. ج2. ص 397.

تسببت الزلازل التي ضربت بلاد الشام بخسائر اقتصادية متنوعة؛ إمَّا بصورة مباشرة أو غير مباشرة، وتبدأ إرهاصات الأخيرة - أي غير المباشرة - بانصراف أرباب الصناعات والحرف مؤقتًا عن أمور معاشهم؛ للتعاطي مع مخلّفات الزلازل وأضرارها؛ فينشغلون بجمع شعثهم، وتخفيف فجائعهم؛ ومداواة مصابهم، ودفن ميْتهم، وتشييد مسكن جديد، وترميم آخر قديم، أو إصلاح قارب وبناء سفينة؛ فتتأثر نتيجة لذلك مختلف الأنشطة؛ الزراعية والصناعية والتجارية وقطاع الصيد، البحريّ منه والنهري.

ومن صور الأضرار غير المباشرة على الاقتصاد تسببها بقطع الموارد المائية عن الحقول والبساتين؛ أو بتغيير مسارها، أو بزحزحتها لمسافة أبعد؛ أو في أسوأ الأحوال غَورها؛ نتيجة للحركات الجيولوجية في باطن الأرض، أو عبر الشقوق التي تحدثها على سطحها، أو بتساقط الكتل الصخرية الجبلية وأكوام التراب على مجاري المياه وسدّها، وطمرها للعيون المائية وردمها؛ ما يؤثر سلبًا على الزراعة، بتعسُّر إيصال الماء إليها؛ فتنكمش المساحات المزروعة، أو تتلف في حال انقطاع المياه نهائيًا عنها؛ فيتأثر معه اقتصاد القرى والمدن؛ فتقل معه أو تنقطع موارد الناس المالية، فيتأثر مستوى معيشتهم. ومن أبرز الأمثلة على ذلك ما حدث بزلزال عام 130هـ/ 748م الذي تسبب بردم بعض العيون المائية بطبرية، وزحزحة أحد ينابيع أريحا مسافة ستة أميال[43].

كما تُلحِق الزلازل أيضًا خسائر مباشرة على القطاع الزراعي؛ بتدميرها الحقول والمناطق المزروعة؛ من ذلك ما حدث بسنة 100هـ/ 718م حين تسبب زلزال عنيف ومخيف بدمار الكثير من البساتين - لا سيما بالجزيرة - فيبست الأشجار والفواكه وفسدت المحاصيل[44].

أما عن آثارها على الأنشطة الاقتصادية الأخرى، فلقد لحق قطاع الرّعي جرّاء الزلازل العنيفة بعض الخسائر، والمُشكِل في هذا الجانب أن أغلب الروايات قد دأبت على التركيز بشكل كبير على الخسائر البشرية والعمرانية، وقلّما تلتفت للخسائر الأخرى؛ كالتي تصيب الثروة الحيوانية. ورغم شح المعلومات في هذا الجانب إلا أن ما

[43] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 402، 403.

[44] - الزوقنيني. تاريخ. ص 83.

حدث بزلزال عام 425هـ/ 1034م يمكن أن يعطينا صورة جلّيَّة عن الخسائر التي يمكن أن تطال هذا القطاع؛ فمن المعلوم أن سكان القرى وضواحي المدن قد اعتادوا على تربية المواشي بمختلف أنواعها، وبناء حظائرها بالقرب من بيوتهم، أو حتى ملاصقة لها، وهذا الحال كان - ومازال - سائدًا في بلاد الشام إلى الآن. وفي حالة حدوث الزلازل فإن تلك الحظائر قد تكون من ضمن ما يقع، أو تنهار عليها الجدران حال ملاصقتها للمنازل، أو تهلك مع رعاتها حال انخساف مناطقهم، وابتلاع الأرض لهم؛ وهو ما حدث بزلزال عام 425هـ/ 1034م، حين خُسِف بقرية قريبة من نابلس خسفًا تاما؛ بأهلها وبقرها وغنمها [45] مع قرى أخرى معها[46].

كما طال الضرر قطاع النقل والصيد البحري، ويمكن أن يحدث ذلك بالهزات الأرضية وما تحدثه من دمار بالمرافئ ومرافقها، أو بسبب أمواج المد البحري المدمرة؛ حيث تكون المرافئ والمراكب التجارية وقوارب الصيد الراسية عليها أول من يتلقى ضربتها. ورغم أن بعض الروايات لا تصرّح بالأضرار الواقعة على الموانئ، إلا أن ذلك شبه حتمي في حالة حصول تلك الأمواج الطوفانية؛ خاصة أن سواحل بلاد الشام كانت مليئة بالمرافئ، التي ازدهرت بها التجارة وحرفة الصيد منذ القِدم، ومازال الكثير منها قائمًا حتى اليوم؛ ومن أشهرها: أنطرطوس وبلنياس واللاذقية وجبلة والهرياذة، وعرقة وطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وحصن الصرفند وعدنون، وصور، وعكا - التي كانت تصنع بها السفن - كما اشتهرت بسواحل فلسطين قيسارية وأرسوف ويافا وعسقلان وغزة[47].

---

[45] - ورد اسم هذه القرية لدى السيوطي والعجلوني عند حديثهما عن نفس الزلزلة الحاصلة في هذه السنة - أي 425 هـ - فعند السيوطي: "وخسف بقرية البارزاد وأهلها وبقرها وغنمها وساخت في الأرض". بينما وردت عند العجلوني باسم آخر، وربما وقع في تصحيف عندما قال: "وخسف بقرية البادان وأهلها وبقرها وغنمها وساخت في الأرض". السيوطي. كشف الصلصلة. ص 124، 125؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 84.

[46] - ابن الجوزي. المنتظم. المجلد الرابع، ج 8. دار صادر. ص 77؛ السيوطي. كشف الصلصلة. ص 124، 125؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 84.

[47] - ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت: 337هـ/ 948م). نُبذ من كتاب الخراج (مطبوع ضمن كتاب: المسالك والممالك لابن خُرْدَاذبَه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 280هـ/ 893م). 1989م، مطبعة بريل، ليدن. الناشر: دار صادر، بيروت. ص255.

ومن حوادث أمواج المدّ البحري المدمرة التي رصدتها الدراسة ما كان في عام 130هـ/ 748م، فبحسب وصف مار ميخائيل أنه " ثار في البحر نوء غريب، حتى أن الأمواج ظهرت وكأنها ترتفع نحو السماء، وهي تبدو كماء يغلي في القِدر، وتصدر عنها أصوات صاخبة وكئيبة" مكتسحة معها المناطق الساحلية، ومحدثة دمارًا كبيرًا بها[48]. إن أمواجًا اجتاحت المدن والقرى الساحلية، وتسببت بدمار كبير بها من باب أولى أن يكون ضررها بالموانئ وقوارب الصيد ومعداتها والسفن الراسية عليها أبلغ، لأنها أول من يتلقى ضربتها المباشرة.

إن حدوث أمواج المد البحري العاتية بسواحل بلاد الشام تسبب بدمار كبير لموانئها، وعطَّل اقتصادها القائم في جزء كبير منه على قطاع الصيد، وصناعة السفن، والتجارة والنقل البحري، ولحق أرباب المهن والقائمين عليها، وأصحاب الحرف المرتبطة بالبحر خسائر كبيرة جرّاء ذلك. ولم يقتصر تعطيل الزلازل لحركة القوارب والسفن في البحر فقط، بل امتد أيضًا إلى المجاري النهرية، مثلما حدث بزلزال عام 195-196هـ/ 811م حين انقطع جريان نهر جيحون مدة من الزمن؛ حتى تعطلت حركة السفن به[49].

ومن الصور الأخرى لأضرار الزلازل الاقتصادية إلحاقها الدمار والخراب بالأسواق التجارية؛ عصب الحياة الاقتصادية؛ ففيها تفرّغ المحاصيل الزراعية، وتعرض الصناعات الحرفية، وتساق إليها الخيرات البريّة والبحريّة، وتؤمّها القوافل التجارية، ويقصدها الباعة والمشترون؛ الأمر الذي تسبب بتأثر حلقات ومفاصل الاقتصاد المختلفة من زراعة وصناعة وتجارة بانعدام منافذها التجارية. ويعد زلزال دمشق عام 130هـ/ 748م، واحدًا من تلك الزلازل التي تسببت بتساقط أسواقها؛ والتي كان من بينها سوق الدجاج[50].

عِلاوة على ما سبق فإن ترميم وإعادة بناء المنشآت التي تتبع الدولة؛ خصوصًا العسكرية منها، وكذلك الأسواق، وإعادة تجديد المدن، وتقديم بعض المساعدات المالية

---

[48] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 402.

[49] - المصدر نفسه. ص 441.

[50] - السيوطي. كشف الصلصلة. ص 122؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 75.

للسكان؛ تخفيفًا وإعانة لهم، وتعويضًا عمّا فقدوه، كل ذلك يتطلَّب تخصيص موارد مالية من خزينة الدولة. من جهة أخرى فإن الخراب الذي يلحق بمفاصل الدولة الاقتصادية؛ من زراعة وصناعة ورعي وصيد وتجارة قد يتسبب بإنهاك موارد الدولة المالية، ويؤثّر على مقدار الضرائب التي تجبيها من مختلف الأنشطة؛ مراعاة للمتضررين، وإتاحة الفرصة لهم كي يعاودوا النهوض بأعمالهم.

**ثانيًا: الآثار النفسية والاجتماعية**

في حالات الزلازل العنيفة يكون الخوف والهلع من أوائل الصور التي ترتسم على ملامح الناس؛ فرؤية مشاهد عظيمة وأحداث مهولة وجسيمة يصدم الوجدان البشري؛ ويبعث فيه الرهبة مما يحدث ويجري؛ يرى أرضًا صُلبة تهتز وتمور، وجبالًا وأنهارًا تُبتلع وتغور، يعاين خراب الحقول والبساتين، وتفجَّر الأرض بالبراكين، وهيجان البحار مسببة خرابًا وتدميرًا؛ فتزيغ الأبصار، وترتعد الفرائص، وتكثر الهواجس، وتبلغ القلوب الحناجر، ويشعر الانسان بضعفه، وقلّة حيلته وتَقَطُّع أسبابه؛ فيفر هائمًا في الفيافي والفلوات، والصحارى ملتمسًا النجاة؛ باحثًا عما يقر قراره، ويهدأ به باله، فيدفعه خوفه العظيم إلى خالق الكون ومدبره القديم؛ فيتضرع إليه باكيًا، ومستغيثًا شاكيًا، متقربًا إليه بشتى الطاعات، ومختلف العبادات؛ من دعاء وتوبة وصلوات، وصيام وذكر وصدقات؛ كي يصرف عنه شرها، ويَقِيه خطرها.

وقد عكست الروايات المرتبطة بالزلازل المدمرة بعضًا من تلك الآثار النفسية، التي تبعث في النفوس رهبة وخوفًا شديدين؛ مثلما حدث بزلزال عام 59هـ/ 679م فلشدة الخوف والهلع اللذين سيطرا على نفوس الأهالي بسروج أجهضت النساء الحوامل[51]. كما تجلى ذلك الرعب في المناطق الساحلية بوقوع سكانها بين الزلازل واهتزازاتها، والبحر واكتساح أمواجه، ويُتلمس ذلك من خلال السطور التي عُبِّرَ بها عن هذا المشهد بزلزال عام 130هـ/ 748م، التي جاء فيها ما يلي: "ثار في البحر نوء غريب، حتى أن الأمواج ظهرت وكأنها ترتفع نحو السماء، وهي تبدو كماء يغلي داخل القدر، وتصدر عنها أصوات

[51] - الزوقنيني. تاريخ. ص 58.

صاخبة وكئيبة"[52]. إن معاني تلك الكلمات المستخدمة في التعبير عن هذا المشهد لا تخفي ما تملك السكان من رهبة، وتعكس مدى الخوف والرعب اللذين تسلطا على قلوبهم من هول ما عاينوه بها.

اجتماعيًا، أحدثت الزلازل نزيفًا بشريًا حادًا بكثرة ضحاياها، ما أدى لانخفاض معدل النمو السكاني وعرقلة تقدمه. ويلاحظ أن أكثر الروايات التي وثَّقت كوارث الزلازل المدمرة - سواء أكانت خلال الفترة التي عالجتها الدراسة أم بعدها - أعيتها الإحصاءات، وكبديل عنه استعيض بعبارات وصفيّة تنبئ عن فداحتها؛ مثل قولهم: "هلك عدد كبير من أبناء المدينة ... كما هلكت آلاف عديدة من الغوطة ودارّيا" [53]. وقتلت "خلقًا كثيرًا من الرجال والنساء والصبيان ... ومات من أهلها خلق كثير" [54] وزلزلت طبرية وتقطّع جبلها "فمات تحته بشر كثير" [55] ومات "أهل اللاذقية من تلك الهدة" [56] "ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل، ولا أفلت من أهلها إلا اليسير، وذهبت جبلة بأهلها"[57]. "وهلك من الناس فيها ما يعظم مقداره. وانقلبت مدينة ريحا على أهلها" [58] "ومات تحت الردم خلق كثير ... وخسف بقرية البادان وأهلها ... وساخت في الأرض" [59]. "وابتلعت الأرض عدة قرى في سورية مع أهاليها" [60] و"هلك تحتها عالم كثير"[61].

لا شك أن مثل تلك العبارات الوصفية تنبئ عن الحجم الكبير للضحايا الذين تعذر إحصاؤهم، واستعصى على الناس عَدُّهم. وعلى الرغم مما سبق لا يعني أن جميع الروايات قلد خلت من الإحصائيات، بل إن بعضها كشف عن الحجم المهول لضحايا

---

[52] - مار ميخائيل. تاريخ. ج 2. ص 402.

[53] - المصدر نفسه. ص 401-403.

[54] - المنظم. ابن الجوزي. مطبعة الأمانة، مصر. ص 31، 32، 33.

[55] - ابن الجوزي. المنظم. مطبعة الأمانة. مصر. ص 246.

[56] - ابن العبري. تاريخ مختصر الدول. ص 248.

[57] - الطبري. تاريخ الأمم والملوك. ج 5. ص 1958.

[58] - الأنطاكي. تاريخ الأنطاكي. ج 2. ص 439.

[59] - العجلوني. تحريك السلسلة. ص 84.

[60] - الأنطاكي. تاريخ الأنطاكي. ج2. ص 439.

[61] - ابن الأثير. الكامل. المجلد العاشر. ص 200.

تلك الزلازل؛ مثلما حدث بزلزال عام 130هـ/ 745م حيث بلغ عدد ضحايا طبرية وحدها مائة ألف ونيّف[62].

وتعود بعض أسباب كثرة الضحايا البشرية المرتبطة بالزلازل إلى فجائية حدوثها؛ فهي ليست كباقي الكوارث التي لها مقدمات فيحتاط لها، بل تحدث بغتة دون أي إنذار؛ فيُقتل السكان هدمًا تحت المباني أو سحقًا تحت الجبال المنهارة، أو خسفًا. ومن العوامل الأخرى التي ساهمت في زيادة حجم الضحايا في بلاد الشام مُناخها المعتدل، وخصوبة أجزاء كثيرة من أراضيها؛ فأضحت بذلك منطقة جاذبة للسكان؛ الأمر الذي جعل التجمعات السكانية في الكثير من مدنها كثيفًا. كما أن طبيعة البناء بالمناطق الحضرية لبلاد الشام، والمعتمد على الحجارة والطين، وجذوع الأشجار قد رفع من حجم الضحايا حال تساقطها على رؤوس قاطنيها والمارّين تحتها.

إضافة إلى ما سبق أثَّر عامل القرب والبعد عن البحر في رفع حجم الضحايا البشرية؛ فبعض الزلازل العنيفة قد ينتج عنها كارثة أخرى بالمناطق الساحلية، يبدأ مظهرها بتراجع البحر عن ساحله مسافة كبيرة، على غير عادة الجزر الطبيعية، ثم ما يلبث أن يعود على شكل أمواج مترادفة يعلو آخرها أولها، فتكتسح المناطق الساحلية، وتبتلع كل ما يصادفها.

كما تتسبب الزلازل بحدوث آثار اجتماعية عميقة، تؤثر سلبًا على معيشة السكان، وتفقدهم رغد العيش وهناءه، وطيب المقام ورخاءه، وتُحيل حياتهم إلى ضنك وشقاء، وشدة وبلاء، ورغم أن غالبية الروايات لم تُعنَ بإبراز التبعات التي أنَّ من وطأتِها الأفراد والمجتمعات؛ إلا أنه يمكن استنتاجها من خلال بعض المعطيات؛ لاسيّما الأضرار العمرانية والخسائر الاقتصادية والوفيات؛ إذ إن هذا المثلث يعد من أركان معيشة السكان، ومدار حركة الأنسان، فسلامة هذه الجوانب يوفر أرضية ثابته لِلاستقرار، وبغيابها قد تحدث بعض الأضرار، فتتنغص حياة الكثير من الأُسر والأفراد، ويلحقهم البؤس والشقاء والحرمان، والجوع وما يجرّه من أمراض، وما قد ينشأ عن ذلك من

[62] - المنبجي. المنتخب. ص 105، 106.

بعض السلوكيات المجتمعية غير المحمودة، التي لم تكن من قبل موجودة؛ فيفقد المجتمع بعض طمأنينته واستقراره وسلامه.

وفور سكون الزلازل تبدأ الأثار الاجتماعية في التكشُّف الواحدة تلو الأخرى، ويأتي في مقدمتها مُصاب الأُسر، بفقد بعض أفرادها؛ من عائل أو ربة منزل، أو غيرهم، فيتحمل من نجا عبء من رحل، ويدفع الأحياء ضريبة الأموات من ثُكل ويُتم وترمُّل. ولا شك أن شكل الضرر الناتج يرتبط بمرتبة ومكانة من قضى؛ خصوصًا إن كان أُمًّا أو أبًا أو الاثنين معًا؛ لدورهما المهم والحيوي في تماسك الأسرة ورعايتها؛ والقيام بمسؤوليتها وتوفير احتياجاتها؛ فيتضعضع كِيانُها، ويؤثر سلبًا على استقرارها.

كما أن الخسائر العمرانية تنعكس بدورها على المجتمع؛ فما تهدّم ليس مجرد أحجار متساقطة أو دُور منهارة؛ فهي قبل ذلك مأوىً ومستقر لأسرة، تلك الأعمدة والحيطان كانت تُكِنُّ أبًا وأمًا وأولادًا من ثلج الشتاء وبرْده وبَرَده، وتحفظهم من عواصفه ومطره، وتقيهم حرَّ الصيف ورمضه. تلك الصخور المتداعية كانت راحة عند العناء، وبأوقات الجوع والظمأ شبعًا ورواء، ومن عوادي الضواري واستكلابها جُنَّة ووقاء. ذلك الركام كان سكينة، ودَعة وطمأنينة، لكن بفقدانه يُفقد كل ذلك أو أغلبه؛ فُيرمى أفراده في العراء؛ يلبسهم الشقاء، وتنالهم كل شدة وبلاء، وإن اتخذوا من الخيام بديلًا، فهي أوهن مسكنًا ومقيلًا؛ لا تقيهم برد الشتاء وثلجه، ولا المطر وشدّته وحبات بَرَده ووحله، أو حتى تصمد بوجه عواصفه.

وتتعاظم مصيبة الزلازل مع دمار أعداد كبيرة من المنازل في المنطقة الواحدة، فالبيوت القليلة الناجية تصبح مقصدًا، فتغدو عاجزة عن إيواء الأسر المفجوعة من أقارب ومعارف وجيران؛ فإما أن يؤويهم أصحابها فيكتظ بهم المكان، أو يُتركوا فينهشهم العراء. ولو تتبعنا أخبار الزلازل لوجدنا أن كثيرًا منها قد تسبب بدمار أعداد كبيرة من البيوت في المناطق التي ضربتها، ما يجعل الكثيرين من الناس مشرَّدين؛ يلتحفون السماء ويفترشون الأرض، حتى وإن اختاروا الهجرة لأماكن أخرى[63]. إن كلا الحالين سيرافقهما

[63] - المنبجي. المنتخب. ص 45، 94؛ مار ميخائيل. تاريخ. ج2. ص 313، 352، 374، 397، 401-403. ج 3. ص 99، 147؛ العجلوني. تحريك السلسلة. ص 75، 76.

أحوال اجتماعية سيئة؛ خاصة مع خسارة الأسرة لكل ما تملكه، أو إصابتها بمعيلها، أو ربَّة بيتها؛ حيث تكون المعاناة مضاعفة.

من جهة أخرى تُلقِي الخسائر الاقتصادية الناتجة عن الزلازل بِحِملها وثقلها على الأفراد والأُسر والمجتمعات؛ فمستوى معيشة الأُسر ورخائها يحدده بشكل كبير مقدار الدخل، فكلما كان الدخل كافيًا ومستقرًا كان وضع الأسرة في حال أفضل، هذا في الغالب؛ إذ سيكون بمقدورها توفير أغلب الاحتياجات. أما في حالة فقد مصادر أرزاقها، وتعطل مصالح أفرادها؛ من أسواق ومزارع وموانئ وقوارب، فحتمًا سيتأثر حالها، لاسيّما إذا أتت الزلازل على مصدرها الوحيد، أو أصيبت بكل أنشطتها الاقتصادية، حينها ستعاني الفقر والجوع، وما قد يتبع هذا الحال من حدوث أمراض عضوية، وظهور سلوكيات اجتماعية قبيحة، كتفشي السرقة والقتل من أجل المال والطعام، أو في أبسط الأحوال استجداء الناس، والاعتماد على معوناتهم.

**خاتمة:**

من خلال استعراض حوادث الزلازل منذ بداية القرن الأول حتى سنة 130هـ والفترة السابقة لها توصلت الدراسة إلى ما يلي:

أولاً: كثرة زلازل بلاد الشام، سواءٌ أكانت قبل الفترة التي عالجتها الدراسة أم خلالها، وكان معظمها من النوع المدمر، الأمر الذي يشير إلى وقوع المنطقة على بؤرة زلزالية نشطة، بالتقاء صفيحتين تكتونيتين تتعرضان لتصادم مستمر، ما يؤدي لحدوث زلازل على فترات متقاربة. وقد كانت مدينة أنطاكية والساحل الشاميّ من أكثر مدن بلاد الشام تأثرًا في القرن الأول قبل الهجرة، واستمر الأثر التدميري للزلازل على منطقة ساحل بلاد الشام خلال فترة الدراسة؛ إضافة لدمشق وغيرها من المدن السورية وطبرية ومناطق الثغور الإسلامية؛ كمنبج وسروج والرها، مع ملاحظة تلاشي الثورات البركانية المصاحبة لها، مثلما كان الحال ببعض زلازل القرن الأول قبل الهجرة، ويعتبر زلزال عام 130هـ/ 748م من أكثر زلازل بلاد الشام شدةً وتدميرًا خلال الفترة التي عالجتها الدراسة (1-130هـ)

ثانيًا: خلّفت تلك الزلازل ضحايا بشرية كبيرة، عجزت الروايات عن إيراد إحصائيات لها، مكتفية بالقول: "وهلك الكثير" وغيرها من الجمل الوصفية التي تنبئ عن الحجم الكبير للضحايا، ورغم أن الموت واحد إلا أن طرق مقتل الناس كانت بصور مختلفة؛ فمنهم من مات تحت ركام المنازل، وصِنف ابتلعتهم الأرض مع قراهم ومدنهم، وآخرون تساقطت عليهم الجبال. أما في المناطق الساحلية فقد كان الحظ أسوأ في بعض الزلازل؛ إذ اجتمع عليهم مع ما سبق خطر قادم من البحر؛ تمثَّل في اجتياح أمواج المد البحري لقراهم ومدنهم، مما تسبب بمضاعفة القتلى والخسائر المادية. من جهة أخرى ساهمت عمارة بلاد الشام في رفع أعداد القتلى؛ عبر الصخور والحجارة المستخدمة في بناء البيوت والأسواق والقناطر؛ مما جعلها - في أغلب الأحيان - قبورًا لساكنيها أو المارين تحتها أو بالقرب منها حال وقوعها عليهم.

ثالثًا: تسببت الزلازل بدمار عمراني كبير، شمل مختلف أنواع العمارة في بلاد الشام: المدنية والاقتصادية والدينية والعسكرية، من منازل وأسواق ومساجد وكنائس ومعابد يهودية وقلاع وحصون وأبراج وأسوار وقناطر. ومما يؤسف له أن بعض تلك العمارة كانت - ومازالت - تشكل معالم حضارية لبلاد الشام، تعكس تطورها الديني، والرقيّ الفنيّ والمعماري، ويؤرخ للدول التي تعاقبت عليها. ومن أبرزها المسجد الأقصى بالقدس، والجامع الأموي بدمشق، وكنيسة القيامة والجلجلة بفلسطين.

رابعًا: تسببت الزلازل بخسائر اقتصادية لمنطقة بلاد الشام، عبر تدمير الحقول والبساتين وتلف ثمارها، ومقتل أعداد كبيرة من القائمين على أنشطتها، مع إلحاق أضرار كبيرة بموانيها، والسفن والقوارب الراسية عليها، الأمر الذي تسبب بانكماش تجارتها البحرية، وتأثر قطاع النقل والصيد البحري بها. كما أن انهيار الأسواق قضى على المنافذ التجارية لتصريف المنتجات الزراعية والصناعية والبحرية بشكل مؤقت، مما أثّر سلبا على بقية الأنشطة الاقتصادية ببلاد الشام.

خامسًا: أحدثت الزلازل بعض التغيّرات في جغرافية وبيئة بلاد الشام، نتيجة لعنف هزّاتها وشدة رجفاتها، حيث أدت إلى زحزحة وهبوط الكثير من الأماكن، وتخريب بعض الأراضي، وطمر العيون المائية، وإبعاد أخرى أميالًا عديدة. أما في القرن الأول قبل

الهجرة فقد كان الحال أسوأ، بالانهيارات الجبلية، وطمرها لمجاري الأنهار، وما سببه من ارتفاع منسوبها خلف الركام، وغرق المناطق المجاورة. كما تميزت تلك الفترة ببعض الثورات البركانية، مع تلويثها الجو بدخانها الخانق، والذي راح ضحيته الكثير بأنطاكية.

سادسًا: أثّرت الزلازل على نفسيّات سكان بلاد الشام، من خلال شعورهم بالخوف والرعب حال سكونها، والحزن والأسى على نتائجها، كما خلّفت أوضاعًا اجتماعية مزرية؛ من يُتم وثكل وترمّل، ومعاناة الكثير من الأسر جرّاء نبذهم بالعراء وتشردهم، ومقاساتهم للحر والقر، وبما ألحقته من خراب بمصادر أرزاقهم؛ من دمار بالأسواق والمرافئ والمراكب والأراضي الزراعية؛ مما أوقع الكثير منهم تحت ضائقة الفقر وقلة ذات اليد، وما جرّه ذلك من حرمان وجوع وأمراض.

سابعًا: امتازت المصادر النصرانية، والسريانية خصوصًا بوفرة وغزارة المادة العلمية المتعلقة بالزلازل، وغيرها من أحداث الكوارث الطبيعية والفلكية، ومن تلك المصادر تاريخ الزوقنيني، والتلمحري، والمؤلف المجهول، والمنبجي، والأنطاكي ومار ميخائيل، حيث اعتمد منهجهم على التأريخ الحولي لرصد الأحداث، وقراءتها وتفسير حدوثها من وجهة نظر دينية. وقد شملت كتاباتهم جوانب كثيرة لأحداث الزلازل؛ كالضحايا البشرية، والأضرار العمرانية، والخسائر الاقتصادية، والاضطرابات النفسية، كما رصدت أيضا الأضرار العسكرية؛ بتساقط استحكاماتها المبنية، من قلاع وحصون وأسوار، وتأسّت وتأوهت على تهدم الآثار الحضارية، وتابعت التغييرات البيئية الناتجة عن عنف تلك الزلازل.

**التوصيات**

بعد رصد للزلازل الحاصلة في بلاد الشام خلال فترة الدراسة والقرن السابق لها، وأثر إدراك مدى شدة وعمق أثرها على حياة السكان بها، ولتحسين تفهّم هذه الظواهر العنيفة، والارتقاء بطرق تدريسها، ولتجاوز الإشكالات التي صُودِفت، إرتأت الدراسة رفع التوصيات الآتية:

1-أهمية تأليف معجم جغرافي لأماكن ومدن وقرى بلاد الشام وما يتبعها من مناطق، يُتتبع تطور مسمياتها عبر التاريخ، خصوصًا أنها خضعت لامبراطوريات ودول عديدة،

وتأثيرات حضارية متنوعة؛ من قِبل الفرس والإغريق والرومان، ومن ثم الدولة الإسلامية، والأتراك ودولتهم العثمانية. حيث كان لكل فترة تاريخية في غالب الأحيان مسمى معيّن لمدنها وقراها، وعلى أثر ذلك قد ترد في بعض المصادر بمسمياتها غير العربية، مما يوقع الباحث والقارئ في ربكة وجلجلة وحَيرة، فيقف عاجزًا عن تحديد أماكنها، ولكيلا نجحف كثيرًا فإنه في حالات نادرة أشارت المصادر الجغرافية الإسلامية إلى بعض المسميات القديمة للمدن، غير أن ذلك غير كافٍ لسد تلك الثغرة الكبيرة، خصوصا عند الاستقاء من المصادر السريانية.

2-أهمية ترجمة الكتب والمخطوطات التاريخية المتعلقة ببلاد الشام، والتي كتبت بمختلف اللغات؛ ومنها السريانية واللاتينية، لتغطية النقص الحاصل في المصادر العربية والإسلامية، فالتاريخ عمومًا، وتاريخ بلاد الشام خصوصًا لم يُكتب فقط بأقلام عربية ومسلمة، بل بلغات أخرى أيضًا، خصوصًا أن تلك اللغات قد سبقت العربية في التأريخ لبلاد الشام وغيرها من المناطق. وبما أن جزءًا كبيرًا من تاريخنا وتاريخ بلاد الشام مكتوب بلغتهم، فقد يتيح ترجمة مؤلفاتهم الاطلاع على معلومات جديدة، تيسر إدراك أبعاد أخرى للكوارث على السكان وأتباع الأديان الأخرى الذين عاشوا في ظل الدولة الإسلامية، والتعرّف على أحوالهم ومعاناتهم عن كثب، وكيفية انعكاس أحداث الكوارث عليهم؟ فالتاريخ في بعض الأحيان يشوّه ويختطف عندما يكتب بلغة المنتصر والحاكم.

3-أهمية رسم خارطة جيولوجية لبلاد الشام من قبل إحدى المراكز المتخصصة، وتوضيح الصفائح التكتونية التي تستقر عليها، وتبيان أماكن تصادمها، وإسقاط مسميات القرى والمدن عليها بمسمياتها القديمة عبر التاريخ (اليونانية والرومانية والسريانية). فمثل هذا العمل سوف ييسر فهم حوادث الزلازل الواقعة ببلاد الشام، ويوضح أسباب تعرض بعض المناطق أكثر عن غيرها لهزّاتها، ويفسر أسباب عنفها بمكان، وبساطتها بأماكن أخرى

ملحق (1): خريطة بلدان ومدن بلاد الشام

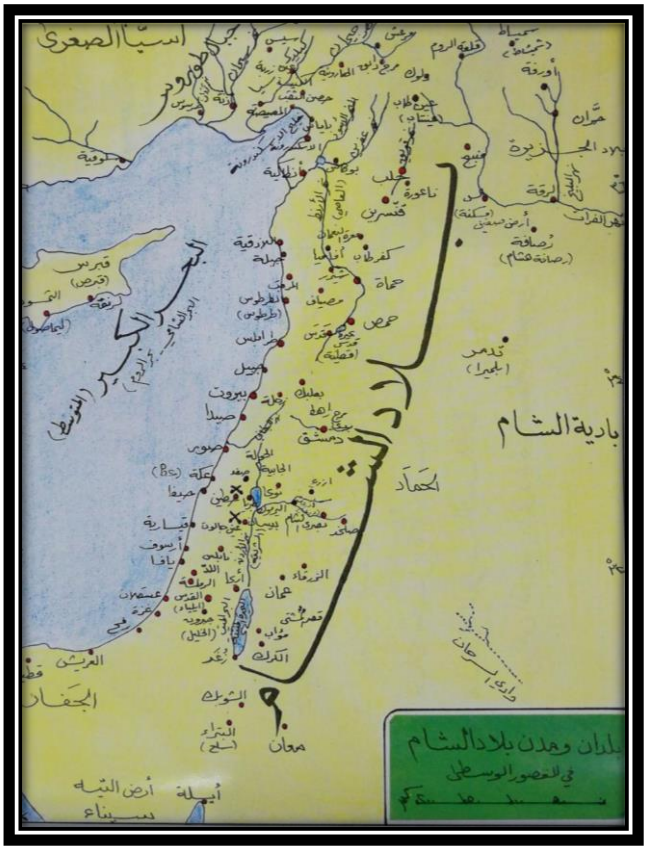


نقلا عن الميداني، محمود عصام. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي. ص 50

ملحق (2): خريطة بلاد الجزيرة وأرمينيا

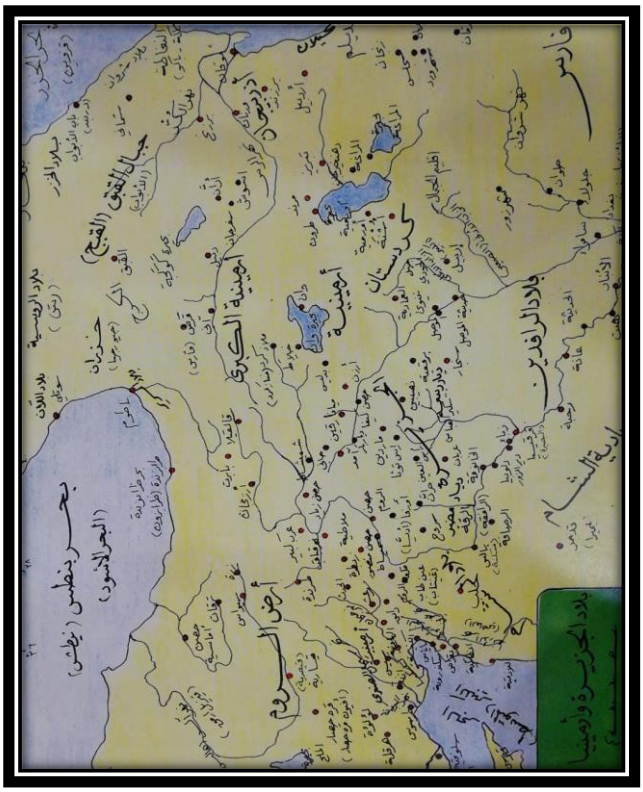


الميداني. الأطلس التاريخي. ص 53.

## قائمة المصادر والمراجع

### أولًا: المخطوطات

1- السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/ 1505م). كشف الصلصلة عن وصف الزلزلة (مخطوط). مركز الوثائق والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية، عمّان. رقم الشريط: 276.

2- الشعيفي، زين الدين أحمد بن علي بن الحسين بن علي (ت: ؟ هـ/ ؟ م). كتاب عن تواريخ حلب وما بها من العادات اللطيفة والعجائب الغريبة (مخطوط). مركز الوثائق

والمخطوطات ودراسات بلاد الشام، الجامعة الأردنية: عمّان. رقم التسلسل: 1683، رقم الشريط: 295.

**ثانيًا: المصادر العربية**

1- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني (ت: 630هـ/ 1233م). الكامل في التاريخ. دار صادر، بيروت: 1995م.

2- البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود (ت: 279هـ/892م). فتوح البلدان. إشراف: لجنة تحقيق التراث. دار ومكتبة الهلال، بيروت: 1988م.

3- ابن تغري بردي، جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت: 874هـ/ 1470م). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة. دار الكتب، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر: 1973م.

4- السيوطي، جلال الدين (ت: 911هـ/ 1505م). تاريخ الخلفاء. اعتنى به ونقحه وعلق عليه: محمود بن رياض الحلبي. دار المعرفة، بيروت: 2000م.

5- ابن الشحنة، أبو الفضل محمد بن محمد بن محمد بن محمود (ت: 890هـ/ 1485م). تاريخ حلب وهو فصل من كتابه "نزهة النواظر". اختيار ابن الشحنة المجهول. علق عليه: أبو أيمن البتروني (ت: 1046هـ). تحقيق: كيكو أوتا. مكتبة الجامعة الأردنية، عمّان: 1990م.

6- الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير (ت: 310هـ/923م). تاريخ الأمم والملوك. راجعه وقدّم له وأعدّ فهارسه: نوّاف الجراح. دار ومكتبة الهلال، بيروت (د.ت).

7- العجلوني، أبو الفداء إسماعيل بن محمد بن عبد الهادي بن عبد الغني (ت: 1162هـ/ 1749م). تحريك السلسلة فيما يتعلق بالزلزلة. اعتناء: سفيان بن عايش بن محمد. دار ابن الجوزي، الأردن: 2004م.

8- ابن قدامة، أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي (ت: 337هـ/ 948م). نُبَذ من كتاب الخراج. (مطبوع ضمن كتاب: المسالك والممالك. ابن خُرداذبَه، أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ت: 280هـ/ 893م). مطبعة بريل، ليدن. الناشر: دار صادر، بيروت: 1989م.

9- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل القرشي (ت: 774هـ/ 1372م). البداية والنهاية. قدّم له: محمد بن عبد الرحمن المرعشلي. دار إحياء التراث العربي، بيروت: 2001م.

10- مؤلف مجهول (توفي بحدود القرن 2هـ/ 8م). تاريخ ملوك القسطنطينية. تحقيق وتعليق: طارق منصور. تقديم: زبيدة عطا. مصر العربية للنشر والتوزيع، القاهرة: 2008م.
11- اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب (ت: 284هـ/ 897م). تاريخ اليعقوبي. دار صادر، بيروت: 2010م.

**ثالثًا: المصادر المعرّبة**

1- التلمحري، ديونسيوس (230هـ/ 845م). تاريخ الأزمان. ترجمة وتقديم: شادية توفيق حافظ. مراجعة: السباعي محمد السباعي. المركز القومي للترجمة، القاهرة: 2008م.
2- الزوقنيني (ت:158-159هـ/775م). تاريخ الزوقنيني المنحول لديونيسيوس التلمحريّ. ترجمه من السريانية: الشماس بطرس قاشا. قدم له وعلّق عليه: الأب سهيل بطرس قاشا. منشورات المكتبة البولسية، بيروت: 2006م.
3- مار ميخائيل السرياني (ت:595هـ/1199م). تاريخ مار ميخائيل السرياني الكبير بطريك أنطاكية. عرَّبه عن السريانية: مار غريغوريوس يوحنا إبراهيم. دار ماردين، حلب: 1996م.
4- المنبجي، أغابيوس بن قسطنطين (من القرن 4هـ/ 10م). المنتخب من تاريخ المنبجي. انتخبه وحققه: عمر عبد السلام تدمُري. دار المنصور، لبنان: 1986م.

**رابعًا: المراجع العربية**

1- الموسوعة العربية العالمية. ط 2. مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض: 1999م.
2- الميداني، محمود عصام. الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي. راجعه: عبد الرحمن حميدة. ط 5. دار دمشق للنشر والتوزيع، دمشق: 2004م.